

الطبيقي الإيقاع الحيوي التطوري (191)

الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع

الفصام الاستهلاكي أم "العملية" الاستهلاكية؟

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD080517.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/05/08

السنة العاشرة - العدد: 3537



مقدمة:

عودة إلى موضوعنا الجوهري، الذي ننطلق منه إلى بحور التعرف على كل الأمراض النفسية والحياة، أشعر بالحرج وأنا أخصص لهذا الموضوع المحوري يوماً واحداً مع أنني مدين له بأغلب ما وصلني ليس فقط عن سائر الأمراض، بل أيضاً عن تنويعات الاغتراب المعاصر، ثم تجليات الإبداع. هذا، وأعتقد أنني ربما أقرر تأجيل استكمال مرحلياً، فهو موضوع جوهري ومتشعب، ولا يليق أن أخصص له يوماً واحداً في الأسبوع هكذا، كما أنه لا يمكن لمتتبع جاد أن ينتظر أسبوعاً ليكمل ما بدأه اليوم، أغلب الظن أن خبرتي مع الفصام: أصله وتجلياته ومحاولات إيقاف مسيرته والوقاية منه وحالاته، كل ذلك سوف يتطلب تخصيص كتاب مستقل له، أدعو الله أن يعينني على إخراجه قبل فوات الأوان، دعونا ننتظر لنرى.

لن أكرر الاعتذار وأنا مطمئن إلى ندره، وصبر، وتحمل من يتابعني
وبعد

لما كنت قد انتهيت من خلال فروضي، وممارستي، إلى التعامل مع الفصام باعتباره أصل كل الأمراض من منظور "واحدية المرض النفسي Unitary Concept of Psychiatric Disorders"، فكيف أوصل هذه المحاولة لتقسيم أنواع الفصام إلى أنواع حتى لو كان ذلك من منظور تطوري؟

ومع ذلك فقد وجدت أنني في محاولتي الباكورة قمت بتقسيم الفصام كإيقاعاً تقسيمياً إذا دلالة تطورية على الوجه التالي:

أولاً:

الانواع حسب المسار " الإيقاع الحيوي التطوري "

(1) الفصام الاستهلاكي Incipient Schizophrenia

(2) الفصام المتقطع Intermittent Schizophrenia

(3) الفصام الدوري Periodical Schizophrenia

(4) الفصام الوجداني (Schizo-) Affective Schizophrenia

(5) الفصام المنفوخ Disorganized Schizophrenia

(6) الفصام المتناثر Disintegrated Schizophrenia

انتهيت من خلال فروضي، وممارستي، إلى التعامل مع الفصام باعتباره أصل كل الأمراض من منظور "واحدية المرض النفسي" Unitary Concept of Psychiatric Disorders

تقسيم أنواع الفصام حسب المسار " الإيقاع الحيوي التطوري "

- الفصام الاستهلاكي
- الفصام المتقطع
- الفصام الدوري
- الفصام الوجداني
- الفصام المنفوخ
- الفصام المتناثر
- الفصام المتدهور
- الفصام السلبي
- الفصام النكوصي
- الفصام المتبقّي

تقسيم الأنواع غير التقليدية التي تنصّف بكلمة فصام (بتجريدات مختلفة) مثل:

* الفصام الحامن

* الفصام المحتمل

* الفصام شبه العصبي

* الفصام القطاعي

(7)الفصام المتدهور Deteriorated Schizophrenia

(8)الفصام السلبي Negative Schizophrenia

(9)الفصام النكوصى Regressive Schizophrenia

(10)الفصام المتبقى Residual Schizophrenia

ثانياً:

الأنواع غير التقليدية التي تتصف بكلمة فصام) بتبريرات مختلفة (مثل:

* الفصام الكامن Latent Schizophrenia

* الفصام المحتمل Potential Schizophrenia

*الفصام شبه العصابي Pseudo-neurotic Schizophrenia

*الفصام القطاعي Sectorial Schizophrenia

*فصام الطفولة Childhood Schizophrenia

هذا بالإضافة إلى) ما يسمى:

• مكافئات الفصام) Schizophrenic Equivalents نشرة 20-3-0217

والسؤال التالي الآن هو:

هل من المفيد عملياً أن نحاول وصف كل هذه الأنواع واحداً واحداً، أم أن الأجدر بنا أن نتكلم عن "المرحلة" المقابلة التي نواجهها في المسيرة الفصامية؟ مع الأخذ في الاعتبار أن المسيرة الفصامية، خاصة في بدايتها، أو مع العلاج المناسب، قد تتحول إلى مسارات أخرى، أو تتوقف عند مراحل (أمراض) أخرى، أو تتقلب إلى توجه إيجابي نحو النمو (الإبداع الذاتى) أو الإبداع التشكيلي (1)؟؟.

ولكن دعونا نبدأ بالبداية: الفصام الاستهلالى (المبتدىء)!

(1)الفصام الاستهلالى Incipient Schizophrenia :

شغلنى هذا النوع منذ بدايات ممارستى للطب النفسى سنة 1960 حتى أننى سجلت رسالة الدكتوراه بعد ثلاث سنوات فى موضوع يكشف عن أبعاد هذا النوع، أو يعرى طبيعته بما يتطلب إعادة النظر فيه، وقد كان:

كان عمق رسالة الدكتوراه عن "الذهان الكامن Latent Psychosis" وكيف يمكن أن يُستثار بمثيرات مناسبة، وأن يقاس هذا الذى يثار بمقاييس مقننة تكشف أبعاد ما هو كامن، وكنت أحقن بعض المتطوعين وبعض المرضى غير الذهانين بالوريد بجرعة زائدة من الميثيدرين (100 مجم) وأقارن استجاباتهم على اختبارات معينة قبل وتحت تأثير هذه الجرعة ..إلخ، وقد خلصتُ من البحث بأن هذه الجرعة (التي كنا نستعمل ثلثها- 30 مجم- فى التنفيث فى العلاج النفسى) تحرك فىنا جميعاً ما يشبه الذهان.

ثم انطلاقاً من هذا البحث الذى كشف لى بعض داخلنا (خاصة فى فترات أزمت النمو) رحبت أولى اهتماماً خاصاً بحالات الشباب صغار السن النابهين الذين يتوقفون فى الدراسة فجأة مع ظهور بعض الأعراض التى تعلن تغييراً نوعياً محدوداً فى الشخصية، لكنه لا يصل إلى أية حدة ذهانية، ورحت أتابع هذه الحالات، بالطول والعرض، حتى نصل بحر الأمان، أو غير ذلك.

هل من المفيد عملياً أن نحاول وصف كل هذه الأنواع واحداً واحداً، أم أن الأجدر بنا أن نتكلم عن "المرحلة" المقابلة التى نواجهها فى المسيرة الفصامية؟

الأخذ فى الاعتبار أن المسيرة الفصامية، خاصة فى بدايتها، أو مع العلاج المناسب، قد تتحول إلى مسارات أخرى، أو تتوقف عند مراحل (أمراض) أخرى، أو تتقلب إلى توجه إيجابي نحو النمو (الإبداع الذاتى) أو الإبداع التشكيلي (1)؟؟.

رحبت أولى اهتماماً خاصاً بحالات الشباب صغار السن النابهين الذين يتوقفون فى الدراسة فجأة مع ظهور بعض الأمراض التى تعلن تغييراً نوعياً محدوداً فى الشخصية، لكنه لا يصل إلى أية حدة ذهانية

أنا أتصور أن بداية الذهان، وبالذات الفصام، ليست ذهانية !! بمعنى أننا يمكن أن نرصد الذهان فى بدايته

حين كُلفْتُ - مع زميلين (2) - بإعداد مسودة الدليل المصرى (/العربى) للأمراض

منذ ذلك الحين وأنا أتصور أن بداية الذهان، وبالذات الفصام، ليست ذهانية !! بمعنى أننا يمكن أن نرصد الذهان في بدايته (قبل أن يتطور إلى ظهور الهلوس والضلالات أو الانسحاب الشديد من الواقع.. إلخ)، وأنا بذلك يمكن أن نحول دون تطوره بطريقة مناسبة إذا ساعدت ظروف العلاج وإمكاناته.

بعد ذلك، حين كُلفتُ - مع زميلين - (2) بإعداد مسودة الدليل المصري (/العربي) للأمراض النفسية، اقترحت إدخال تصنيف لهذه الفئة الاسم = Incipient Schizophrenia الفصام الاستهلالي، الذي قسمناه إلى نوعين، فرعيين النوع النشط Active Incipient Schiz الذي يتميز بتغيير نوعي في الشخصية وخاصة في الإدراك (الذاتي، وللواقع) Depersonalization & Derealization لا يصل إلى الهلوسة)، وتوقف في الأداء، والنوع الآخر هو ما أسميناه الفصام الاستهلالي المتسحب Insidious Incipient Schiz، الذي يتميز بتدرج متماد بطيء في الأداء، وخفوت في الرنين الوجداني، وفي العلاقات مع الآخرين، وهو الذي يتمادى عادة - إذا تمادى - إلى الفصام البسيط "بوجه خاص (3)"، وقد وافقت اللجنة العليا التي راجعت هذه المسودة على ما اقترحنا، وصدر الدليل التشخيصي متضمنا كل ذلك.

بعد ذلك، ومع طول الممارسة والتتبع تبينتُ وأنا أكتب كتابي "الأم(4)"، أن هذه البداية بهذا الشكل، النوع النشط خاصة، ليست خاصة بالفصام، بل إننا قد نجدنا في بداية حالات الهوس أو حالات الاكتئاب الجسيم أو حالات البارانويا النشطة، بل إنني لاحظت مع وفرة ممارستي لعلاج شباب الجامعة في مستشفى الطلبة التابع لجامعة القاهرة، أن نفس الأعراض (أو المظاهر السلوكية) يمر بها عدد وافر من الشباب في سن المراهقة، دون أن تتطور إلى أي من تلك الأمراض لا الفصام ولا غيره، فاقترحت في كتابي الأم أيضا أن نسمي هذه الحالة باسم العملية الاستهلالية Incipient Process على أمل أن نتجنب أن ندمغ هذا العدد من الشباب والمراهقين الذين يمرون بها بلفظ الفصام باستسهال أو تشاؤم هكذا مرة واحدة، وكنت أقصد أن هذه "العملية" هي: "استهلالية" لأنها تعتبر بداية لأي احتمال آخر من أي مرض آخر، أو ربما تكون استهلالا لنقلة نوعية في النمو في أزمة نمو المراهقة بالذات، وقد سجلت هذا الاقتراح في كتابي السالف الذكر باعتبار أنه في هذه المرحلة البادئة لا توجد ومبررات كافية للاحتفاظ بوصف هذا النوع من المعاناة والتغير بالفصام، في حين أنه يفقد إلى كل ما هو فصامي تقليديا، وهأنذا أعيد هذه الفقرة على الوجه التالي:

....إتجه رأيي مؤخرا إلى تسمية هذه المرحلة Incipient Process بدلا من الفصام المبتدئ Incipient Schizophrenia حيث أن هذه الظاهرة إنما تعلن أزمة مفترقية، وفي نفس الوقت قد تعلن بداية نبضة نمو جديدة إما أن تنتهي إلى "ماكروجيني" ومن ثم ولاف أعلى، وإما أن تتوقف عند أي مرحلة من مراحل "السيكوباتوجيني (5)" إذ هو ماكروجيني مُجهض ومُشوّه، وعموما فإنني ما زلت أدرجها هنا تحت الفصام ربما أملا في توقيفه بفاعلية، أي لعلنا نسارع فنوجه المسار بعيدا عن احتمال المسار الفصامي، بأن نأخذ هذه الأعراض مأخذا جادا مسئولاً لتفادي أسوأ المآلات وهو الفصام. ولعلنا نلاحظ الآن كيف استعمل النص الباكر تعبير "أزمة مفترقية"، وهو التعبير الذي استعملته بعد ذلك مكررا في توسيع مفهوم (وفروض) حالات الوجود المتبادلة) "نشرة 2016/3/15 (و)نشرة 2016/6/26 (و)نشرة 2016/7/3".

وقد بينتُ في نشرات الإنسان والتطور اليومية عن "المسيرة الفصامية (6)" العلامات التي تجعلنا

النفسية، اقترحت إدخال تصنيف لهذه الفئة الاسم Incipient Schizophrenia = الفصام الاستهلالي

أن هذه البداية بهذا الشكل، النوع النشط خاصة، ليست خاصة بالفصام، بل إننا قد نجدنا في بداية حالات الهوس أو حالات الاكتئاب الجسيم أو حالات البارانويا النشطة

لاحظت مع وفرة ممارستي لعلاج شباب الجامعة في مستشفى الطلبة التابع لجامعة القاهرة، أن نفس الأمراض (أو المظاهر السلوكية) يمر بها عدد وافر من الشباب في سن المراهقة، دون أن تتطور إلى أي من تلك الأمراض لا الفصام ولا غيره

في هذه المرحلة البادئة لا توجد ومبررات كافية للاحتفاظ بوصف هذا النوع من المعاناة والتغير بالفصام، في حين أنه يفقد إلى كل ما هو فصامي تقليديا

.... إتجه رأيي مؤخرا إلى تسمية هذه المرحلة Incipient Process بدلا من الفصام المبتدئ Incipient Schizophrenia حيث أن

هذه الظاهرة إنما تعلن أزمة مفترقة

في نفس الوقت قد تعلن
بداية نبضة نمو جديدة إما
أن تنتهي إلى "ماكروجيني"
ومن ثم ولاء أعلى، وإما أن
تتوقف عند أي مرحلة من
مراحل "السيكوباتوجيني"
(5) إذ هو ماكروجيني
مُبعض ومُشوه

أكثر ميلا لاعتبار هذا النوع من العلامات نذيرا بمسار فصامي، من حيث علاقته بالوراثة الإيجابية
لحالات فصام، وأيضا بنوع الشخصية سواء كانت شيزيدية أم عاصفية قبل ظهور هذه الأعراض
(يمكن الرجوع إلى نشرات المسيرة الفصامية من نشرة (25-3-2017) إلى نشرة (10-4-2017).

هذا، و عموما فإنني أتصور أن مَنْ يميل إلى ترجيح تصنيف مثل هذه الحالة تحت لافتة ما يسمى
"الفصام الاستهلالي"، يكون هدفه هو أن يمنع تماديه إلى الفصام المستتب الصريح،
وبصفة عامة، فإنه إذا رَجَحَتْ كفة هذه الصورة الإكلينيكية لتشير إلى أن الفصام الاستهلالي هو
الأكثر احتمالا، خاصة إذا كان في الأسرة تاريخ فصامي إيجابي ذو مآل سلبي، فإن المبادرة بالتأهيل
النشط، وملء الوقت بالمهام الواقية الملزمة، وتدعيم التواصل الاجتماعي، وتشغيل الجسم (ليس مجرد
ألعاب رياضية)، جنبا إلى جنب، مع استعمال جرعات متوسطة من النيورولبتات بطريقة متذبذبة حسب
مؤشرات النوم، ونوعه، وطبيعة الإنجاز، والانتظام في التأهيل، كل ذلك يعتبر من أهم العوامل التي
يمكن أن تحوّل المسار إلى ما هو أكثر أيجابية، أو على الأقل: أقل سلبية.

وبعد

نواصل الأسبوع القادم مع نوع آخر
بالله عليكم هل هذا يجوز؟ أسبوع بأكمله؟
دعونا نبحث عن حلّ آخر،
والدعوة عامة.

- [1] أنظر إن شئت حالات الوجود المتبادلة) ”: نشرة 15/3/2016 (و) نشرة
26/6/2016 (و) نشرة 3/7/2016 (و) أيضا إن شئت أطروحة: ”جدلية الجنون والإبداع.”
- [2] المرحوم د. صلاح الدين إبراهيم و أ.د. زينب سرحان.
- [3] نشرة أنواع الفصام ”الفصام البسيط ”بتاريخ 22-4-2017
- [4] يحيى الرخاوى ”دراسة في علم السيكوباتولوجي“ دار عطوة - القاهرة 1979.
- [5] أنظر النشرات التي ذكر فيها الماكروجيني والسيكوباتوجيني مثلا) نشرة 9-2-
2016 (و) نشرة 7-5-2016 (و) نشرة 25-3-2017، ولاحظ كيف أن المؤلف يستعمل هذه الأبجدية
منذ هذا التاريخ 1978 ، وقبله طبعا.
- [6] نشرات المسيرة الفصامية من نشرة (25-3-2017) إلى نشرة (10-4-2017).

العلامات التي تجعلنا أكثر
ميلا لاعتبار هذا النوع من
العلامات نذيرا بمسار فصامي،
من حيث علاقته بالوراثة
الإيجابية لحالات فصام، وأيضا
بنوع الشخصية سواء كانت
شيزيدية أم عاصفية قبل
ظهور هذه الأعراض

أتصور أن مَنْ يميل إلى
ترجيح تصنيف مثل هذه
الحالة تحت لافتة ما يسمى
"الفصام الاستهلالي"، يكون
هدفه هو أن يمنع تماديه
إلى الفصام المستتب الصريح

شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية
معا... نذهب أبعد

مركز أبحاث والبحوث النفسية
Bassaaer
وفي نفسيكم ثقة تينزون

